تعليق على « الدخان فى الشعر »

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى فى العدد ٩٢٥ من الرسالة الغراء مقالة بعنوان « الدخان فى الشعر » استعرض فيها بعض القصائد فى الدخان لبعض الشعراء العراقيين

وأول ما تناول كاتب المقال قصيدة « العادات قاهرات » للمرحوم الرصافى المنشورة فى ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩١٠ م بالمطبعة الأهلية ببيروت

ولقد استوقفتنا بعض العبارات التى دونها الأستاذ ببراعه على صفحات الرسالة . وإظهاراً للحقيقة وددنا التعليق والرد على ما جاء ، بهذه الفقرات التالية لكى يقف على الحقيقة . الفقرة الأولى : —

علق الأستاذ على هذه الأبيـــات من أنها خير دليل على كذب الرصافى

إن كافتنى السكارى شرب خمرتهم
شربت لكن دخاناً من سيكاراتى

وروعة لا مثيل لهما ، رغم الإيجاز الشديد فى حديثه عن ذلك

وهذه الموازنات بين الشاعرين تسير وفق أحدث المناهج الأدبية فى النقد ؛ فهى ليست نمطاً من الموازنات القديمة ، التى تنظر إلى الألفاظ والقواعد ، وتحليل بيت ، وتعداد محاسن وعيوب محدودة ؛ وإنما هى موازنات تنظر إلى البواعث النفسية التى أثرت فى فن كل من الشاعرين وإنتاجهما

إن هذا الكتاب القيم لجدير بأن يضفى على شخصية الصيرفى الشاعر شخصية الناقد الحر الطليق

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس بكلية اللغة العربية

إنى لأمتص جمراً لف فى ورق
إذ تشربون لحيباً ملء كاسات

إن الرصافى نشر هذه القصيدة بديوانه المنشور سنة ١٩١٠ م وربما نظمها قبل هـذا التاريخ ببضع سنوات ، وبهـذه الفترة الزمنية فى حياته كان صادق اللهجة فى إنكاره الخمرة بعيداً عمـا يتصوره الأديب ، حيث أنه لم يتحرر من العامل الدينى آنذاك تحرراً كلياً ، إذ كان يقتصر على التدخين وحده ، ولا يرى فى الكأس إلا سما زعافاً

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه شاعر ، والشاعر له إحساسات وعواطف يحس فيها بقرارة نفسه ، فيتناول يراعتـه ليضعها فى قوالب موسيقية متناسقة ، ويلبسها حلة زاهية . ولو علم أن ما كتبه مخالف لما هو عليه ، فرائده تدوين ما انبثق من حسه وما يتصوره من شعور

ولو فرضنا جدلا أن الرصافى يحتسى الخمر حقا فى تلك الحقبة الزمنية فقصيدته جاء بها عن طريق النصح والارشاد حتى يتعظ القارئ ويقتنع من قول ناصحه

ولقد سلك الرصافى مسلكا تحليليا لإبانة ضررها بصورة يشعر المطالع لها ان ناظمها ممن يجب الاقتفاء بأثره فيتخذ بنصحه فهذا لا يعتبر كذبا

الفقرة الثانية : —

استشهد الأديب بهذه العبارة للأستاذ الكبير «الزيات بك» (همه من الحياة شرب العرق ، ولعب الورق ، واستباحة الجمال)

إنا لا نزعم أن الرصافى لم يحتس الخمرة قط ولا ذاق طعمها ، بل يعود نظم هذه القصيدة فى وقت كان أبعد ما يكون فيه عن الخمر

أما عبارة الأستاذ الزيات فكانت صريحة لا عثار عليها ـ وهذا ما نتفق به مع الأديب الناصرى ـ إذ قدم العراق بين فترة سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ والرصافى بحد ذاته لا ينكر ذلك بل ينطق بصراحته التى عهدناها فيه . وإليك قصيدته التى نظمها بعد تلك القصيدة أى (العادات قاهرات)

« شكواى من الدهر »

إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا ... فبيني وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقا ... بمستقطر من خالص التمر رائق
فأقرع بالكأس الروية جبهتي ... بشرب كما عب القطا متلاحق
أسابق ندماني إلى السكر طائرا ... بجنح من الأنس المضاعف خافق
فنادمت أصحابي على غير وحشة ... وقلت لهم ما قلت غير منافق
وأغنيتهم عن نقلهم في شرابهم ... بمز طرى من نقول الحقائق
ولم يبد في السكر عند اشتداده
سوى شكر خلي أو سوى حد خالقي
تعودت سبقي في الفخار فلم أرد
من السكر أن أحظى به غير سابق

هذه هي صراحة الرصافي في شرب الخمر، ولو كان شاربها في ذلك الوقت الذي نظم فيها قصيدته « العادات قاهرات » لاعترف بذلك كما هو معترف بهذه القصيدة

أما وصف الأستاذ الزيات بك للرصافي وهي العبارات المتعلقة في الفقرة الثانية فقد جاءت نتيجة قدومه إلى بغداديين سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ م فألفاه على ما هو عليه ووصفه بما رآه في تلك الفترة . فهل يجوز أن تكون عبارة الزيات برهانا قاطعا على جميع الأدوار والفترات التي مر بها الرصافي ؟ بينما القصيدة كانت من إنتاجه أيام شبابه حيث لم يتحرر من التقاليد الدينية آنذاك؛ والتي تلقاها على يد أساتذته أمثال الآلوسي وعباس القصاب

الفقرة الثالثة :

ذكر الأستاذ الناصري (ولست أدري ماذا كان الرصافي يقول لو شاهد الآن الغانيات وهن يدخن في شوارع بغداد) إن القارئ الكريم لو ينعم النظر في هذه الجملة لفهم أن الرصافي ولد وعاش في القرن الثامن عشر . فكيف يسوغ للأستاذ أن يكتب مثل هذه الجملة حول الرصافي . وهو الذي توفي سنة ١٩٤٥ م وخالط جميع الطبقات من رفيعة إلى وضيعة ووقف على أسرار كل منهما . وليعلم القارئ أن الرصافي جاب البلدان ورأى بأم عينه مدناً كالآستانة والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وجالس الكثير من عوائلها المتفرنجة التي لا يشين نساءها شرب الدخان وهن يتجولن في المجتمعات العامة والحفلات الخاصة وهو صاحب الدعوة إلى السفور

أمثل هذا الرجل لم تنظر عيناه امرأة بفمها سيكارة خلال السنين التي جاب بها تلك الأقطار ؟!

وفي الختام ليعلم الأستاذ الناصري أننا لم نتطرف في التعليق على هذا الموضوع لولا ما لحق الرصافي من غبن

بغداد — هاشم الطائي

١ـ شبهة شعر

نسب المقدم السيد نعمان ماهر الكنعاني في كتابه شاعرية أبي فراس البيتين التاليين إلى أبي فراس

نحن قوم تذيبنا الأعين النجـ ... ـل على أننا نذيب الحديدا

والصحيح أنها لعبد الله بن قيس الرقيات شاعر مصعب ابن الزبير الذي يقول فيه

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء
حكمه حكم رحمة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

كما أن البيت الثاني ورد على الصورة الآتية

وترانا يوم الكريهة آسا ... داً وفي السلم للغواني عبيدا

ولست أدري كيف غفل عن ذلك الخطأ الدكتور مصطفى جواد كاتب المقدمة وهو الصديق الذي لا تفوته هذه الأخطاء ؟!

٢ـ دعس لا دهس

نشر الشاعر العراقي الأستاذ أحمد الصافي النجفي قصيدة في جريدة « اليقظة » البغدادية بعنوان « إلى ولي العهد الجنين » جاء فيها

كم قضى منهمو بلكم ودهس ... واختناق كما دخلت الوجودا
امش وادهس فإنهم حشرات ... ألصقوا بالثرى خدوداً وجيداً

وقد لاحظت أن الشاعر أورد لفظة ادهس بمعنى ادعس وهذا خطأ شائع إذ جاء في القاموس « دعس » بفتح الأول

والثانى والثالث وطسه وداسه .. أما من ناحية القصيدة فهى ركيكة الأبيات مهلهلة الصياغة لست أدرى كيف نشرها، إذ لا تخرج عن منظومات تلامذة المدارس الثانوية ، فليت شعرى ما أصاب الأستاذ الصافى وهو صاحب « الأمواج » ..

(٣) الشعر لأبى تمام

جاء فى الصفحه (٣٠٢) من كتاب الأوراق فى أخبار الشعراء لأبى بكر الصولى أن المرثية التى مطلعها

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

من شعر أبى محمد « القاسم بن يوسف » ولا شك أن هذه النسبة من سوء تصرف شارح الكتاب لا من الصولى نفسه؛ لأن هذه القصيدة هى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وهى وتراثا فى ساحة الحرب أحرا رأ وفى السلم للحسان عبيدا منشورة فى ديوانه فى باب المراثى ص (٣٣٦) حرف النون ومنها هذه الأبيات الرائعة

آخر عهدى به صريعا للموت بالداء مستكينا
اذا شكا غصة وكربا لاحظ أو راجع الأنينا
يدير فى رجعه لسانا عنه الموت أن يبينا
يشخص طورا بناظريه وتارة يطبق الجفونا
ثم قضى نحبه فأمسى فى جدث للثرى دفينا

فهل لا نسلم بعد كل هذا من زال قطيع كنسبة شعر لشاعر مشهور إلى غيره من نكرات الشعراء

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

الى الراغبين فى الحج

قيد الله أداء الحج بالاستطاعة ، وقد فصل الفقهاء بإسهاب ما يجب على من يريد الحج فى كتب الفقه تفصيلا دقيقاً ويزاد عليها أن يكون المال الذى يحج به الإنسان من طريق حلال ومن كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا طيباً ـ قد أديت زكاته وقت وجوبها خال من ظلم العباد ومن الرياء والسمعة وطلب الشهرة والرفعة بين عباد الله حتى يصير خالصاً لوجهه الكريم « إنما يتقبل الله من المتقين »

على أن للحج من الأدب والمتممات ما يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل ليكون مقبولا، ولذا نجد مع الأسف الشديد أناسا قليلين أتموا أعمال الحج الظاهرة والباطنة فنارت أفئدتهم وظهر على وجوههم وأعمالهم هذا الإشعاع النورانى الذى يضئ لهم طريق النجاح بل طريق الهداية والفلاح ، والبقية الباقية وهى كثيرة لم تستفد من روحانية الحج شيئاً مذكورا خصوصاً فى عصرنا الراهن الذى أصبحت فيه الأوضاع مقلوبة، فنرى أغنياء الحرب يتكالبون على طلب الشهرة من طريق الحج لأنه فى نظرهم أقصر طريق لوصفهم بالطائفين وللتشبه بالصادقين

ولكنها الدنيا العابثة تجعلنا ما دمنا بعيدين عن روح الدين وعن جادة الطريق ـ نحسب الشر خيراً والشهة حلالاً

ومن آثار الحج المقبول أن يحيى الضمائر التى أماتتها الشهوات النفسية ويجعلها ساهرة على أعمال النفس ـ وقد خلقها الله أمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، فصار لزاماً على من يحج أن يسأل نفسه : لماذا يحج ، ولمن يحج ، وما فائدة حجه ؟ وأن يبلو نفسه ولا يفتر عن تأديبها بين آن وآخر فإ جهاد النفس شديد ـ لقول الرسول عليه السلام فى رواحه من غزوة « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » يشير بهذا إلى جهاد النفس ! وأوامر الشرع الحكيم مبنية على المجاهدة

وجماع القول : أن الحج المقبول التام هو تغيير كلى فى الأخلاق والعادات والأفعال ؛ بل هو فى الحقيقة انتقال من حسن إلى أحسن ، ومن كمال إلى أكمل ، والله الموفق للصواب

شطانوف محمد خضر خضر

ولقد عفا عنكم

هكذا ينبغى أن تكون الآية الكريمة ، لا كما جاءت فى السطر السادس والعشرين من الصفحة ٢٩٦ من العدد ٦٢٣ من مجلة الرسالة الغراء الصادر فى ١٢ من مارس سنة ١٩٥١ ، إذ وردت « ولقد عفا الله عنكم » فى صلاة أم عمارة ، وهى من أهل الجنة لا تخطئ فى القرآن ، وهى تصلى به

محمد مختار يونس